المحاضرة الحادي عشر : طبيعة العلاقات الموحدية مع الممالك والإمارات النصرانية -3-:

العلاقات الموحدية مع مملكة أرغون :

ذكرت المصادر التاريخية أن مملكة وأرغونه كانت تتألف من مملكتي أرغونه ونبرة منذ سنة 468ه الموافق لـ 1076م، لكنها انفصلت عنها في 528ه الموافق لـ 1134م بعد وفاة ملك أرغونه ألفونسو المحارب دون ان يترك وليا للعهد من صلبه[1]، فبعث أهل أرغونه إلى أخيه الذي كان راهبا من اجل اعتلاء العرش وفعلا كان له ذلك سنة 528ه الموافق لـ 1134م، لكن أهل نبرة رفضوا بالاعتراف به ملكا عليهم، لكن الراهب راميرو لم يستطع حكم المملكة فبعد ثلاث سنوات من الحكم قرر أن يتزوج ابنة الكونت برشلونة بموافقة نبلاء أرغونه ويتنازل له عن العرش وفعلا كان ذلك سنة 531ه الموافق لـ 1157م، هنا ومن جهة أخرى نشأ بعض التكامل الجغرافي والعسكري وحتى الحضاري من خلال توحد أرغونه وبرشلونة فقد تم إضافة الأسطول البحري البارشلوني للقوات البرية الأرغونية ويعتبر بعض المؤرخين أن هذا التوحد من أهم الأحداث السياسية بإسبانيا خلال ق 6ه الموافق لـ ق 12م وذلك لاختلافهما في العادات والتقاليد وحتى اللغة[2].

وبعد اعتلاء الكونت رامون عرش أرغونه اتفق مع ملك مملكة قشتالة الملك ألفونسو السابع وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز على التعاون والتحالف في غزو الأراضي الأندلسية والاستيلاء عليها، ومن ثم فقد اشترك ملك أرغونه بقواته في الحملة التي قادها ملك قشتالة للاستيلاء على مدينة ألمرية سنة 542ه الموافق لـ 1147م[3]، ولم يكن ملك أرغونه الحليف الوحيد

لملك قشتالة بل كانت هناك أيضا أساطيل جنوة وبيزا ومونبيلية[4] والتي كانت أيضا حليفة لملك أرغونه خلال حملته على طرطوشة وقد أخذت حملته هذه مدة طويلة في الحصار نظرا لمناعة المدينة واستمر حصار المدينة حوالي ستة أشهر، والكنيسة بزعامة البابا أيوجين الثالث[5] تبارك الحملة وتحمس النصارى للاستيلاء على طرطوشة التي اعتمدت على نفسها في الدفاع عن

المدينة نظرا للحصار الشديد، فحتى أمير شرقي الأندلس[6]، مما جعل المدينة تضعف وتسقط بيد النصارى في 19 شعبان سنة 543ه الموافق لـ31 ديسمبر 1148م[7].

هذا وبعد استيلاء ملك أرغونه على المدينة قام بمنح الجنوبين والبيزيين ثلثي المدينة، وجعل حصة صاحب منبيلية[8] معهم [9]، مقابل مساعدتهم له، ووزع الثلث على أمراء أرغونه، وواصل حملاته على بقية قواعد الثغر الاعلى فاستولى على لاردة وغيرها من القواعد ، في جمادى الثانية سنة 544ه الموافق لـ أكتوبر 1149[10].

باستيلاء ملك أرغونه على إفراغة ولاردة وغيرها، صارت مملكته تسيطر على جميع مدن وأراضي وادي إيبرو[11] من منابعه إلى مصبه، أحيى الأمل عند النصارى في إمكانية الاستيلاء على كافة الأراضي الأندلسية وإنهاء أمر المسلمين بينها بصفة نهائية، الشيء الذي دفع بألفونسو السابع ملك قشتالة إلى عقد معاهدة مع ملك أرغونه الكونت رامون سنة 546م الموافق ل: 1101م سميت بمعاهدة تطيلة نسبة إلى المكان الذي عقدت به اتفق فيها على غزو اقتسام أراضي الغزو بينهما مع إخباء الاتفاق السابق في غزو حتى مملكة نبرة إضافة إلى أراضي الأندلس[12].

هذا وقد نصت المعاهدة على أن شرقي الأندلس من نصيب مملكة أرغونه، على أن تكون مرسية وبلنسية تابعة لقشتالة لكن لم ينفذ صاحب مملكة أرغونه نص المعاهدة فيها يخص غزو شرق الأندلس لانشغاله بأمور مملكته الداخلية[13]، ثم توفي سنة 557ه الموافق لـ 1162م ليخلفه في الحكم ابنه ألفونسو الثاني حفيد الراهب راميرو وفي سنة 559ه الموافق لـ 1164م تنازلت له والدته عن جميع حقوقها في المملكة ليصبح ملكا للمملكة الكبيرة التي تضم برشلونة وأرغونه وغيرها من الولايات النصرانية التابعة له[14].

وقد حاول ألفونسو الثاني صحب أرغونه الاستيلاء على مدينة بلنسية مستغلا بذلك انشغال الموحدين بأمر ابن مردنيش الذي رفض مبايعتهم والخضوع لهم، حيث توجه بقواته سنة 567ه الموافق لـ 1172م وتمكن من الاستيلاء على بعض الحصون البحرية والبرية، لكن

والي بلنسية تمكن من هزم الحملة البرية بينما قائد الأسطول البحري لابن مردنيش أبو القاسم هزم هو الآخر الحملة البحرية، وبالتالي لم يتمكن من بلنسية[15].

هذا وعندما فرغ الموحدون من أمر شرقي الأندلس ، وبلغهم أن صاحب أرغونه حاول الاستيلاء على بلنسية، عزموا على غزو مملكته، فساروا بقواتهم باتجاهه سنة 569ه الموافقـ 1174م وتمكنوا من الاستيلاء على بعض حصونها وسبوا وغنموا ثم عادوا إلى اشبيلية[16]، مما دفع بملك أرغونه إلى مساعدة ملك قشتالة في استيلائه على مدينة قونقة سنة 572ه الموافق ل: 1177م، وواصل غزواته نحو الأراضي الأندلسية في العام الموالي، مما أقلق ملك قشتالة ورأى أن يعقد معه معاهدة سميت بمعاهدة كاسولا سنة 574ه الموافق ل: 1179م ،وقد نصت على نفس ما نصت عليه المعاهدة السابقة التي كانت في عهد والده معاهدة تطيلة وهي على التحالف ضد المسلمين وضد الخصوم من النصارى لاسيما ملك نبرة، كما نصت على تحديد الأراضي الأندلسية لكل منهما، حيث كان من نصيب صاحب أرغونه الأراضي الإسلامية الممتدة من بلنسية شمالا إلى بلدة نبرة جنوبا[17].

ورغم تشابه بنود معاهدتي تطيلة وكاسولا إلا أن بعض المؤرخين يرون أن صاحب مملكة أرغونه تنازل كثيرا في معاهدة كاسولا حتى خسرت مملكته الكثير من الأراضي، حيث نصت معاهدة تطيلة على حق ملوك أرغونه في غزو الأراضي الأندلسية دون تحديدها مع تولي حكم بلنسية ومرسية بصفة تابعة لملوك قشتالة، مما جعلهم يتضرعون بعض الوقت لاهتمامهم بولاياتهم الواقعة خلف البرنية، أما في معاهدة كاسولا فقد حررت ملوك أرغونه من التبعية لملوك قشتالة في حكم مدينتي مرسية وبلنسية لكنها حددت مناطق نفوذهم وجعلت معظم الأراضي من نصيب مملكة قشتالة، كما أنها سلبت أرغونه حق الإقطاع في بعض الحصون والقلاع المتخاصمة لقشتالة، ثم شددت عليهم وجول الاهتمام بشن الحملات على الأراضي الأندلسية مما جعلهم يهملون أمر ولاياتهم خلف البرنية حتى تمكنت من الانفصال عن المملكة[18].

وبعد عقد المعاهدة لم تذكر أي حملة لملك أرغونه على الأراضي الأندلسية، ولم تذكر له أيضا معاهدة صلح أو هدنة أو ما شابه من الموحدين، ذلك أنه بموجب المعاهدة قام صاحب أرغونه وصاحب قشتالة بالهجوم على مملكة نبرة فانتصر صاحب قشتالة من جهته وانهزم صاحب أرغونه من جهة ثانية، الشيء الذي دفع ملك قشتالة إلى عقد حلف صده سنة 586ه الموافق ل: 1190م ضم الحلف كل من ملك نبرة وملكا ليون والبرتغال، وبقي هذا الخلاف قائما بينهما حتى وفاته سنة 592ه الموافق ل: 1196م[19].

وقد كلفه والداه في حكم المملكة، فقد حكم بيدرو برشلونة وأرغونه، أما ألفونسو فقد حكم باقي الولايات وراء البرنية، وقد فصلها عن المملكة الأم أرغونه حتى قيل أنه رغم أنها ليست أول مرة تفصل عن المملكة لكنها كانت آخر مرة فلم تعد بعدها إلى حكم مملكة أرغونه إطلاقا، هذا وقد أقام ملك أرغونه بيدرو الثاني علاقة صداقة وتحالف مع ملك قشتالة خاصة بعد انهزامه في معركة الأرك أمام الموحدين، وضعفه ثم تعرضه للهجوم من قبل ملكي ليون ونبرة، حتى ان بيدرو ساعده في رد هجومهما، ثم ساعده في مواجهة الموحدين سنة 593ه الموافق ل: 1197م واجتمع معه بقلعة مجريط، لكنهما انصرفا بقواتهما قبل مجيء الموحدين إليهما[20].

ومن ثم فإنه يمكن القول أن مملكة أرغونه بعد ألفونسو الثاني لم تكن لها في عهد بيدرو أي علاقة بالموحدين لا عدائية ولا ودية فليس له حملة ضد الموحدين تذكر ولا حملة من قبل الموحدين ضده، إلا ان في وقت أبيه وجده كانت العلاقات الموحدية الأرغونية علاقات عدائية لطول الوقت تميزت إما بالحملات من طرف مملكة أرغونه أو بشن هجومات من طرف الموحدين على أراضي المملكة.